مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 07/ العدد: 01 (2023)، ص 268- 293

التلقي السوسيولوجي لشعر النقائض
Sociological Reception for The Contradictions Poetry

عبد الغني عبده يحيى الجهيزي
Abdul-ghani abdo yahya al-juhaizi
جامعة إب، كلية الآداب، قسم اللغة العربية aljaheze@gmail.com
المؤلف المرسل(باللغتين): الاسم الكامل : عبد الغني عبده يحيى الجهيزي
Abdul-ghani abdo yahya al-juhaizi
الإيميل: aljaheze@gmail.com

ملخص:
ينطلق البحث من فكرة عرض مجموعة من الرسائل والكتب النقدية التي قاربت شعر النقائض من الناحية السوسيولوجية، وكان اختيارها خاضع إلى الإعلان الصريح عن المنهج المتبع أولاً، أو الاشتغال النقدي المنهجي الخالص الذي يتلائم وإجراءات المنهج المعلن ثانياً، وهي عبارة عن رسالتين تم اختيارهما وفق المعيار المعلن، والنظر فيها من خلال مواءمة المنهج والأهداف لما هو موجود في الممارسة النقدية؛ وذلك بغية الكشف عن أنماط وصور التلقي، من خلال منهجية نقد النقد، ومعرفة الموجهات لدى كل باحث في الاشتغال النقدي على النصوص المدروسة.
الكلمات المفاتيح: التلقي- الشعر- النقائض- السوسيولوجي.

Abstract:
Abstract: The research stems from the idea of presenting a group of letters and critical books that have approached the contradictions poetry from a sociological point of view, and Its choice was compelling the express announcement about the Followed Methodology first, or the pure methodical critical work which corresponds with the procedures of the declared method secondly,

which are two letters that were chosen according to the declared criterion , and paying whole cconsideration to it through the aligning method and objectives with what is existed in the critical practice; This is in order to reveal the patterns and the ways of reception, through the methodology of criticising the criticism, and to knowing the directives for each researcher in the critical work on the studied texts.

Keywords: reception - poetry - contradictions - sociological.

1. مقدمة:

يتناول هذا البحث كيفية التلقي السوسيولوجي لشعر النقائض من زاوية نقد النقد، وقد تم اختيار رسالتين هما الأقرب إلى تطبيق المنهج الاجتماعي تنظيما واشتغالا أو ممارسة، ويتمحور العمل فيهما حول طبيعة التلقي السوسيولوجي، ومدى مواءمة التنظيم والاشتغال النقدي لما هو مصرح به في مقدمة العمل من منهج وأهداف، وبالتالي النظر فيما إذا كانت هناك أهداف مضمرة لم يصرح بها الباحث وجاءت بوعي أو بدون وعي في المدونة النقدية، ويهدف البحث إلى الكشف عن أنماط وصور التلقي، من خلال منهجية نقد النقد، ومعرفة الموجهات لدى كل بحث في الاشتغال النقدي على النصوص المدروسة، ومدى موائمة المنهج النقدي لدراسة ذلك الخطاب.

وينطلق البحث من فكرة الإجابة عن التساؤل الآتي: كيف تلقى الباحثون النص الشعري للنقائض، وما أهم الأدوات الإجرائية التي حاولوا تطبيقها في دراساتهم الاجتماعية، ذلك أنه وجدت عدد من الرسائل الجامعية التي تتبنى منهجاً نقدياً فيما الممارسة النقدية تبحث في اتجاهات نقدية مختلفة، أو تخلط بين هذا المنهج وذاك، وهذه المشكلة تكسب البحث أهميته من حيث الإشارة إلى تلك الاختلالات المنهجية من جهة، ومعرفة نمط التلقي ومدى فاعليته من خلال إجراءات نقد النقد من جهة أخرى.

والاشتغال النقدي في هذا البحث سيذهب على نفس المنوال أو الطريقة في الرسالتين اللتين تعد مباحث هذا العمل، وإذا ما وجد اختلاف في الاشتغال النقدي عليهما فبحسب مؤشرات ومعطيات العمل قيد الدراسة

3- العرض:

القراءة السوسيولوجية

تعد القراءة الاجتماعية السوسيولوجية إحدى المناهج أو القراءات الإسقاطية التي تدرس السياقات الخارجية للنص، والتي تتخذ من حياة الأديب وعلاقته بواقعه وسيلة لفهم النص[1].

وتنطلق فكرة المنهج الاجتماعي من النظرية التي ترى أن " الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما من أجل مجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة[2]"، وهذا ما أكدته الناقدة الفرنسية مدام دي ستايل "بأننا لا نفهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا بمعزل عن المعرفة والظروف الاجتماعية التي أدت إلى الإبداع[3]".

وانطلاقا من هذه الرؤية سيتم اختيار قراءتين من الدراسات التي تناولت شعر النقائض من الناحية الاجتماعية؛ لمعرفة أنماط وصور التلقي فيهما، وأول هذه القراءات هي:

قراءة حمد عبد الله الجبوري[4]

تعد قراءة الباحث الجبوري الموسومة بـ (صورة الفرزدق في شعر جرير) إحدى الدراسات التي تبنت المنهج الاجتماعي تنظيماً وممارسة، فهو وإن لم يصرح باستخدامه لهذا المنهج إلا أن استراتيجية تنظيم هذه القراءة بلغته الواصفة واقعياً وفنياً مستمدة من قاموس النقد الاجتماعي وإجراءاته النقدية، من حيث أن شعر النقائض مثّل صورة واقعية أو شبه واقعية للمجتمع الأموي، ثم إن استدعاءه لبعض الأحداث التاريخية والأيام، ما هو إلا لبيان صورة الفرزدق، ذلك أن هذه الصورة هي وليدة المجتمع ومأخوذة منه، تأثر بها الشعراء فضمنوها شعراً في وصف المهجو، وبالتالي فإن ملاحقة الباحث لهذه الصورة من خلال الأحداث التاريخية هو في الأساس بحثاً عن الاجتماعي.

إن اللغة الواصفة التي وظفها الباحث في القراءة توحي لمتلقي هذا العمل بالتوجه الاجتماعي منذ الوهلة الأولى، وهي قراءة العنوان (صورة الفرزدق)، وهذه الصورة مأخوذة من الواقع الاجتماعي تأثر بها الشاعر وضمنها شعرا، وبالتالي يصبح واقع المجتمع الأموي صورة انعكاسية في شعر جرير، وهذه الصورة تتعدد بين الطبيعية، والكونية، والأخلاقية، والشكلية، وما إن ينتقل متلقي هذا العمل إلى المتن لتفحص تنظيمه ولغته الواصفة حتى يجد ما يؤيد هذا التوجه، إذ أعاد الباحث شعر النقائض المتطور عن الهجاء إلى "غاية اجتماعية هي لهو الجماعة وتسليتها[5]".

وهو إلى جانب ذلك؛ أي شعر النقائض "يمثل صوت الإعلام الحر بكل حرية وديموقراطية ... وهو تصوير للحالة المزرية[6]"، و"الشاعرين قد غلبتهما على أمرهما بيئتهما العامة بما فيها من عادات وتقاليد وعقائد اجتماعية، وما فيها من مظاهر سياسية، واقتصادية، وتيارات علمية، وأدبية، ولهذا اضطر الشاعران إلى الاستجابة لها اضطرارا فصوراها في نقائضهما ...[7]"، هذه التوليفة من الجمل التي وظفها الباحث تدل على التوجه المنهجي لديه فضلاً عن التبويب والمفردات الواصفة، من مثل:

ضغط البيئة، صوت الحرية، الحامل همومهم، وضع الحياة، صوت الإعلام، ديموقراطية، صوت الشعب، ومفاسد العمال، هذه وغيرها جعلتنا نصنف هذه القراءة ضمن حدود المنهج الاجتماعي، ذلك أنه -أي المنهج- استطاع أن يطور هذه المفاهيم حتى جعل من بعضها مفاهيم وإجراءات اجتماعية مستقلة[8]، وبعد إثبات توجه الباحث المنهجي يبقى لدى القارئ مجموعة أسئلة تكون القراءة شبه مُلزمة بالإجابة عنها، منها: هل تتوافق أهداف الباحث مع الخيار المنهجي الذي ارتضاه وسلكه؟ وهل ثمة أهداف مسكوت عنها غير المعلنة؟ وما علاقة هذه الأهداف بالتنظيم والممارسة النقدية؟ ثم هل كشفت المعالجة النقدية عن واقع المجتمع الأموي فعلاً؟.

من يقرأ في مقدمة الباحث يجد أنها اشتملت على هدف واحد هو "تسليط الضوء على صورة الفرزدق في شعر جرير التي حفلت بها نقائض جرير وأشعاره[9]".

وهذا الهدف يعتبر صورة أخرى للعنوان، لم يضف فيها الباحث جديدا، وقد يكون ذلك ناتج -ربما- عن عدم وعي منهجي نقدي يكشف بواسطة إجراءاته عن صورة الشاعر من خلال القيم، والعادات، والتقاليد الموجودة في المجتمع، ثم إن تبنيه "المنهج الوصفي التحليلي الذي استنطق من خلاله النص الشعري[10]"، لا يخدم العنوان أو الهدف بقدر ما هو طريقة يسلكها كل الباحثين بعد تحديد المنهج النقدي، وعلى الرغم من موائمة التقسيم المنهجي لإجراءات النقد الاجتماعي، من حيث إن الأدب يشكل انعكاساً للواقع وتعبيراً عن المجتمع، وتمثيل أفكار أبناء الطبقة الاجتماعية، والتعبير عن همومها[11]، إلا أن هذا مما يحسب على الباحث لعدم إشهاره عن المنهج أولاً، وعدم الرقي بهدف الرسالة ثانياً، ولعل مرد دنو مستوى الهدف راجع إلى عدم وعي بالمنهج النقدي -كما ذكرنا- الذي يتبنيه فعلياً في ممارسته النقدية.

وهنا يمكن أن نشير إلى هدف آخر جاء مضمرا لدى الباحث، أو مسكوتا عنه يكشف ميول الباحث وتوجهه، وهو أنه جعل من شعر النقائض مصوراً للظلم والفقر الذي ساد دولة بني أمية -بحسب قوله- وهذا الهدف يُستشف من أوراق التمهيد الأولى، وهو أن شعر جرير والفرزدق "وقصائدهما تمثل صوت الإعلام الحر بكل حرية وديموقراطية، في حمل رسالة سامية تكشف الظلم في دولة بني أمية، بما يجري فيها من مظالم مهلكة للناس، فقام بتصوير الحالة المزرية والفقر المدقع الذي يتعرض له الناس ومفاسد العمال، وخاصة السعاة الذين يجمعون الصدقات ... [12]".

فهو وإن كان يعيد التصوير الذي انتظم فصول الرسالة ومباحثها إلى هذا الهدف، فإنه يذكر من شعر جرير ما يدعم هذا الهدف، ويعقب عليه بأن "قصائدهما بما فيها من قدرة أدبية ومواهب فنية جاءت تصويراً مثّلت صوت الحرية المدافع عن حقوق الناس والحامل همومهم والمتألم بها، وما يشعرون به من سوء وضع الحياة الاقتصادية، والشكوى من الضيق في عيشهم وشدة عوزهم، وقد أبدع في وصف ما أثرته هذه الشكوى، وما تركته من أسى وإحساس بالظلم في نفسيهما[13]".

ولأنه لم يستطع إخفاء هذا الهدف فقد نجده يطلق مثل هكذا أحكاماً ذاتية مسبقة من دون أن يُخضع هذه المسألة للدرس، ويستشهد لها بالشواهد، أو يستند فيها إلى مراجع متخصصة ليخرج بنفسه من دائرة ضيقة إلى فضاء أوسع وأرحب.

وبالنظر إلى التنظيم الذي سلكه الباحث وعلاقته بالعنوان والهدف والمنهج، فقد ارتأى الباحث أن يقسم العمل إلى ثلاثة فصول يسبقها تمهيد، وهي إجمالاً تمثل حضورا لعدد من المنطلقات ذات المرجعية الماركسية الجدلية بين البنية الفوقية والتحتية على نحو ضمني، أو ظاهر، وحضوراً صريحاً للسوسيولوجيا القائمة على دراسة السلوك الاجتماعي الذي يقوم بها الأفراد والأساليب التي يطبقها المجتمع، وحضوراً مضمراً للبنيات التوليدية المتمثلة بالوعي الجمعي ورؤية العالم، وهذه كلها منطلقات تشير إلى العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع -وإن كانت لا تنظر إلى ذلك إلا من خلال البنية الداخلية- وتطبيقه لهذه المنطلقات إن لم يكن قد وظفها بوعي، فإنه فرضها طبيعة الاشتغال النقدي على العنوان، إذ لا يمكن أن يكشف الباحث عن صورة الفرزدق إلا من خلال الشعر أولاً، وهذا الشعر هو صورة انعكاسية لواقع المجتمع الأموي.

لقد ظهرت إجراءات النقد الاجتماعي في قراءة الباحث من مطلع التمهيد الذي خصه في العلاقة بين الشاعرين ومصدر الصور وتأصيل دلالاتها، من حيث ضعة النسب وإنكاره أولاً، والغدر وعدم حماية الجوار ثانياً، وعدم القدرة على الأخذ بالثأر ثالثاً، والفرار يوم الزحف رابعاً، فهو عندما يتحدث عن علاقة الشاعرين يذهب إلى أنها "لم تكن صراعاً عدائياً كما ظن بعض الرواة، ففي كل مكان نجد نصوصاً تشهد بأنهما كانا متعاطفين متوادين... وأن العلاقة بينهما كانت حميمية وجيّدة، وكانا على صحبة وتواد يجتمعان في مجالس الأمراء، ويترافقان في السفر... وأن اعتزازهما بنفسيهما وافتخارهما بشعريهما عامل طبعي في الغريزة البشرية[14]".

وبغض النظر عن رأي الباحث النقدي فإنه قد أعاد هذا الود بين الشاعرين إلى أنهم ينتمون إلى طبقة رفيعة فكرياً وثقافياً، وأنهم أعرضوا وسكتوا في الرد على بعض الشعراء؛ لأنهم ليسوا من أندادهم ولا من طبقتهم، وإن ذلك راجع إلى "ما أوجدته ألوان الثقافة

العامة عند العرب في عصر بني أمية من طبقة مستنيرة ترتفع بمستواها الفكري عن سواد الناس، ولعل نظرتها إليهم لم تكن تخلو من ترفع واستعلاء، وهذا التفوق الفكري كان يوجد ضرباً من التقارب بين أفراد هذه الطبقة المثقفة المستنيرة[15]".

وهنا نلحظ التوجه الاجتماعي بإجراءاته ومنطلقاته حتى في تفسير العلاقة بين الشاعرين، إذ أعادها إلى إجراء اجتماعي ماركسي يتمثل في الصراع بين الطبقات والبنيات، وإجراء توليدي من خلال ما يراه، وهو "أن الهجاء قد تطور في عصر بني أمية، وجاوز المعقول والممكن في سبيل بلوغ الغاية ... وأن شعراء العصر الأموي تعدوا في ذلك القوانين المفروضة جميعها في ذلك العصر[16]"، في سبيل خلق وعي آخر.

ولأنه يوظف إجراءات المنهج الاجتماعي في علاقته بالبيئة، ويشتغل عليها، فقد أعاد نشوء النقائض إلى عاملين يعدهما جوهريين هما:

العامل القبلي، والجمهور أو المجتمع، وما لهما من أثر واضح في إضرام نار المهاجاة بين الشاعرين، إذ كانوا يترقبون كل نقيضة بصبر نافد كما يترقب الناس صدور الصحف في أيامنا، وإذا ما ظهرت فإنها تمثل جانباً من حياة القبائل الاجتماعية في العصر الأموي الذي يقوم على المفاخرة والتهاجي، وهذا التمثيل ناتج عن تأثير البيئة العامة بما فيها من عادات وتقاليد وعجائب اجتماعية، وما فيها من ظواهر سياسية وتيارات علمية وأدبية[17]، فهو -أي الباحث- يحصر عوامل نشوء النقائض في عاملين اجتماعيين، على الرغم من أن أكثر الباحثين يجعلها سياسية ونفسية واجتماعية وموضوعية[18].

وأعاد مصدر الصورة -عموماً- التي وظفها جرير في رسم صورة الفرزدق إلى "الأحداث التاريخية التي مرت على الفرزدق وقومه ... إذ استطاع أن يحرِّف هذه الأحداث ويصرفها عن معناها الحقيقي إلى فكرة شعرية مدهشة استمدها من خياله التصوري فصاغها شعرا، وهي كثيرة ومتنوعة، إذ هي مجموعة من العادات، والتقاليد، والرسوم، والعقائد الجاهلية والإسلامية[19]"، بحث عن أثرها تحت موضوعات كـ (ضعة النسب، وعدم حماية الجار، وغيرها)، والشعر العربي عموماً "كان يتخذ أداة للتعبير عن مجتمعه البدوي الذي

كان يمثل آنذاك القبيلة بما لديها من عادات وتقاليد وقيم خلقية واجتماعية[20]"، وبناء عليه نلاحظ أن مادة التمهيد وعناصره جاءت متسقة تنظيماً مع المنهج والعنوان، ولا نقول الهدف لأن الهدف هو العنوان نفسه.

ثم إن الفصول الثلاثة التي تقوم على صورة الفرزدق الأخلاقية أولاً، والصورة الشكلية ثانياً، وصورة قبيلته ورهطه ثالثاً، فإنها بقدر ما تشير إلى وعي لما يريدها العنوان، فإنها تشير في الوقت نفسه إلى قلق في تحديد المنهج، إذ شكلت معطيات المنهج الاجتماعي حضوراً طاغياً في فصول القراءة وممارستها النقدية[21]، فالصورة الأخلاقية التي يتناول فيها الفرزدق زانياً وشارباً للخمر، ولئيماً وفاجرا، وفاسقاً ورجساً عديم الطهارة، هي لديه في الأساس صورة مأخوذة من الواقع الاجتماعي، وأن الشاعرين "لم يلجآ إلى الإفحاش في القول وذكر العورات والسوءات إلا لأنهما وجدا الناس يقبلون على هذا اللون من الهجاء ويهشون لسماعه[22]".

وفي مباحث الفصل الثاني، الصورة الحيوانية، وصورة الفريسة، وصورة القين، والفرزدق شقي ثمود، هي قراءات اجتماعية توليدية تنطلق من النص إلى الخارج وتستدعي معها عدد من الجوانب المكملة "مثل إدراك الذات للكائنات والموجودات غير البشرية من نبات وحيوان وجماد، والعلاقات القائمة بين بعضها البعض، وبينها وبين الذات، أو الشخص بما في ذلك الكائنات غير المحسوسة وغير المرئية، والقوى الخفية، وما إلى ذلك[23]"، من بحوث رؤى العالم التي تعبر عن الجماعة.

الأمر نفسه بالنسبة لمباحث الفصل الثالث، صورة قبيلة الفرزدق ورهطه، التي تنوعت بين الصورة الحيوانية، وصورة النباتات، وصورة اللؤماء، وصورة ضعفاء القلوب، وصورة أهله، وصورة والد الفرزدق، وصورة أمه وأخته وزوجته.

وخلاصة ما يقال في تنظيم العمل بأنه جاء متسقا مع بعضه -بالنسبة للفصول والمباحث- ومع عتباته بالنسبة للعنوان والمنهج الذي لم يصرح به، وجاءت أدواته صريحة منذ المقدمة والتمهيد وصولا إلى التقسيم المنهجي.

والناظر في الممارسة النقدية يجد أن الباحث في قراءته قد وظف منطلقات القراءة الاجتماعية بما يجعل المتلقي يشعر من الوهلة الأولى باجتماعية المنهج، وأن السياقات والحوادث التاريخية التي قالها الشاعر واستدعاها الباحث هي في الأساس صورة مأخوذة من الواقع أولاً، والبحث فيها هو بحث عن الاجتماعي ثانياً، ذلك أن القراءة الاجتماعية تتقاطع مع إجراءات المنهج التاريخي بثلاثيته عند تين، البيئة، والجنس، والعصر[24].

ففي استدعائه ليوم الشياطين[25]، ويوم لقيط[26]، التي عيّر بها جرير الفرزدق وقومه، مصوراً ضعفهما، وهو في قوله:

ويومَ الشّيّطين حُبَارَياتٌ وأشردُ بالوقيطِ منَ النعامِ

يعقب عليها قائلاً: "هذه الصور جميعها التي استوحاها من الأحداث التاريخية تعد من أكثر المضامين الشعرية وروداً في نقائض جرير.. وهو ينتزعها من أديم الواقع التاريخي وخياله التصوري[27]"، فهو يستمد الصورة الاجتماعية من الأحداث التاريخية؛ أي أنه ينطلق من الخارج إلى الداخل وفق رؤية النقد الاجتماعي، وقد ينطلق من النص إلى الخارج (المجتمع) وفق رؤية بنيوية تكوينية عامة، عندما يذهب مثلاً إلى "أن قدرة جرير الفنية في رسم الصورة الهجائية وتفننه بها، قد يضع الفرزدق في صورة متمكنة من الأصل، وكأنها طبيعة مستحكمة فيه، ورذيلة ناشئة بمنشأه، فهي لم تكن طارئة، أو نزوى شاب طائش، بل هي طبيعته الغدر بالجار، وفعل الرذيلة[28]"، كما يقول جرير:

وما كان جارٌ للفَرَزْدِقَ مُسْلِمٌ لِيَأْمَنَ قِـرْداً لَيْلُهُ غَيْرُ نائمِ
يُوَصِّـلُ حَبْلَيْه إذا جَنَّ لَيْلُهُ لِيَرْقَـى إلى جاراتـه بالسَّلالـمِ
أَتَيْتَ حُدُودَ الله مُذْ أنتَ يافعٌ وشِبْتَ فما يَنْهـاكَ شَيْبُ اللَّهـازِمِ
رأيتكَ لا توفِي لجارٍ أجرتَـهُ ولا مستعفٌّ عن لئامِ المطاعـمِ
تَدَلَّيْتَ تَزْنِى من ثمَانينَ قامَةً وقَصَّرْتَ عن باعِ العُلَى والمكارِمِ

فالباحث انطلق من رؤية جرير بأن هذه الصفات والصور هي ناشئة بنشأة المهجو نفسه، ثم التفت إلى الخارج ليدعم هذا التوجه، واستعان على ذلك بما هو معروف عن

العرب في الجاهلية والإسلام في مراعاة حرمة الجار، والمحافظة على حقوقه، ومراعاة حرمة الجارة، وغض نظرهم إذا مرت من أمامهم، واستشهد لهذه الصورة الاجتماعية بما جاء في قول عنترة:

وأَغُضُّ طَرْفي ما بَدَتْ لي جارَتي حتى يُواري جارَتي مَأْواها

لكن الفرزدق "لسوء حظه أنه لم يلتزم بتلك العادات والتقاليد العربية السامية، وهذا ما جاء في قول جرير عنه، إذ يرى فيها القارئ أو المتلقي الألفاظ القارصة واللاذعة جميعها للصورة الهجائية التي رسمها جرير لخصمه، جاعلاً من عيوبه وكأنها حالة ملازمة له، ومخالفة لتعاليم الإسلام وقوانينه، ولم تكن حدثاً طارئا[29]".

فالشاعر وإن كان يتناول بعض الصور وفق بنيات لغوية، لكنه يستعين لبيان هذه البنيات أويعيدها إلى الواقع الاجتماعي الذي أنتجها، ففي قول جرير الذي يصور فيه لؤم بني مجاشع:

قَوْمٌ تَوَارَثَ أصْلَ اللّؤمِ أوّلُهُمْ فَما لَهُمْ عَن دِيارِ اللّؤمِ تَحوِيلُ
محالفو اللؤمِ آلى لا يفارقهمْ حتى يردَّ علـى ِ أدراجهِ النيلُ
قَدِ ارْتَدَوْا برداء اللّؤمِ وَاتّزَرُوا وَقُطّعَـتْ لَهُـمُ مِنْـهُ سَرَابِيـلُ

يعيد ذكر الشاعر للنيل إلى ما "فيه من مخالفة لطبيعة الأنهار الجارية جنوباً، وأنه بذلك قد أثبت على قبيلة الفرزدق صفة اللؤم فجعله كالثوب لباس لهم[30]".

فالباحث تناول كل العناصر التي استقاها الشاعر من بيئته، ذلك أن "جريراً تمكن من توظيف عناصر الطبيعة، وواقع البيئة المحيط بالشاعر في أشعاره توظيفاً ناجحاً، ومن تلك الصور: الجوية، والبدوية، والبحرية، وكذلك النارية، فنشط من خلالها بعد أن استمد منها معظم صوره الهجائية، واستطاع أن يلتقط حركتها من قوة إبداعه وثقافته[31]"، وبالتالي جَعْل نقائض جرير والفرزدق انعكاساً تاماً للظواهر الاجتماعية والمحيطة بالشعراء[32]، وسلوك الباحث هذا يعد في صلب النقد الاجتماعي، وإجراءات البنيوية التكوينية، -وإن لم يصرح بها- فهي وثيقة الصلة منها بالنقد الاجتماعي، من حيث ارجاع البنيات اللغوية إلى الواقع الاجتماعي الذي أنتجها، فالباحث يستعين بهذا وذاك -

بقصد أو بغير قصد- من أجل الكشف عن صورة الفرزدق في شعر جرير، ومن أجل ذلك يستدعي من أقوال الشاعر ما هو مأخوذ من المجتمع -تاثيراً ومتاثرا- سواء من النباتات المعروفة في ضعفها، ومن الأشجار أقلها صلابة أو الحيوانات الخوارة المتهالكة، أو التي لا تصلح للحم أو اللبن، أو أخذها الخنازير، أو القوارض والفئران، ويصفه بأوصاف أبدى المجتمع منها انزعاجا ونبذها، كحماية الجار والأخذ بالثأر وغيرها.

ولأن الباحث يتتبع استعانة الشاعر بمصادر البيئة المحيطة، فإنه يذهب إلى أن الشاعر بثقافته المتنوعة قد سخرها في رسم صورة المهجو فاستعان على ذلك بالقرآن، والتطورات الاجتماعية، والفكرية، والاقتصادية، كما انتقى صوَرَه من واقع البيئة والطبيعة التي يعيش فيها؛ وذلك لتكون أكثر وضوحاً وواقعية إلى عقل القارئ وإغراء المتلقي، وجعله يقبِل على سماعها؛ لتكون أكثر تأثيراً في روح الخصم[33]، وقد استعان الباحث للهدف المضمر أو المسكوت عنه، بجعل هذه الصور والتعبيرات بمثابة ثورة شعرية، أجج نارها الشعراء، واستدعى لذلك عدد من المصطلحات السياسية المعاصرة التي تثَوِّر المجتمع، وتثيره اجتماعيا، ومن هذه المفردات: الحرية، والديمقراطية، والحقوق، والظلم، وغيرها.

قراءة عبد الله بن خميس العمري

مثَّلت قراءة الباحث الموسومة بـ (مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن[34])، دوراً بارزاً في تطبيقها وتمثيلها لإجراءات المنهج الاجتماعي، وعلى الرغم من أن الباحث لم يصرح بتبني منهج نقدي واضح من عنوانه أو مقدمته، فإن إستراتيجية تنظيم القراءة مع علاقتها بالعنوان أيضاً، تنم واقعياً وفنياً باستعانتها بأدوات المنهج الاجتماعي، من حيث أن شعر جرير والفرزدق مثَّل انعكاساً للواقع الاجتماعي الأموي -وإن من زاوية واحدة- وهذه الصورة الانعكاسية جاءت لدى الباحث على نحو ضمني، خصوصاً فيما يخص بُنى المجتمع الأموي ومادياته.

وعلى كلٍ فهذه القراءة تتميز "بكونها الأكثر انشغالا بملاحقة الأثر الاجتماعي والفكري وصورهما المحتشدة في المتن الشعري، وتفسير البنى الموضوعية والفنية للنصوص المدروسة، من منظور علاقتها بالواقع، وما يعتمل فيه من أيديولوجيا وأفكار متصارعة[35]"، وعلى الرغم من هذا الاشتغال النقدي الذي سلكه الباحث، فإنه في منهجه الذي تبناه جاء مخيباً لأفق المتلقي، إذ اتبع المنهج التكاملي الذي يشير إلى صيغة توليفية لمجموع المناهج النقدية، ظناً منه "أن طبيعة فن النقائض وما كان يصاحبها من عوامل سياسية واجتماعية وما حوته من ذكر الأيام ووقائع القوم التاريخية والعوامل النفسية لكل من الشاعرين[36]" تستدعي منه المنهج المتكامل، على الرغم من أن هذا التفسير لا يخرج في مجمله عن اشتغالات القراءة الاجتماعية، وكان بمقدور الباحث الاستغناء تماماً عن منهج مزجي كهذا، خصوصاً وأن التنظيم والممارسة يقعان في صلب المنهج الاجتماعي، نقول ذلك لأن ناقد النقد يكون من أولوياته متابعة منهج الباحث، فهو –أي المنهج- يحاول دائماً بأدواته أن يتملك النص تملكاً كاملاً، في حين يقاوم النص -أبداً- هذا التملك بثورته الدائمة للخروج من أسوار المنهج معتمداً في ذلك على فيض دلالاته التي ولّدها باستمرار، ويبثها اتجاهات متباينة[37]، فاستيعاب المنهج النقدي أمر لابد منه من أجل تملك النصوص، وعدم فقدان السيطرة عليها، وبالتالي الاشتغال على بصيرة علمية وطريقة منتظمة.

إن ما يجعلنا نصنف هذه القراءة ضمن حدود المنهج الاجتماعي هو أن آلية التلخيص -بدءاً بالمقدمة وانتهاء بالخاتمة- قد تكفلت برسم صورة تقريبية عن الرؤية المنهجية (الاجتماعية) التي سلكها الباحث على نحو ما تشيء به مجموعة دوال منها:

1- "فجعل غاية تقويم السلوك وتوجيهه إلى الخير والحق والجمال، فربط وظيفة الشعر بمشكلة الإنسان الأخلاقية والاجتماعية[38]".

2- "إن غاية الشعر في المجتمع .. هي إعلاء القيم وجعل الأخلاق هدف أسمى للإنسان العربي[39]".

3- "والحق أن ما ورد في نقائض جرير والفرزدق من مكارم الأخلاق أثبتها كل منهما لقبيلته في سياقات مختلفة من نقائضهما، لهو وثيقة تاريخية لما كان عليه قومهما - اللذان هما جزء من ذلك العصر- من التسابق على امتثال تلك المكارم الأخلاقية، وجدير بأن تبعث من جديد في المجتمعات المتأخرة[40]".

4- "ويفسر تلك النوازع على أساس ما يلحظه من طبقات المجتمع المختلفة[41]".

5- "من يقرأ تلك النقائض ... تستجلى كريم الصفات عند الشاعرين وقومهما، وتعكس ما كان عليه القوم من حرص على التحلي بها[42]".

من يمعن النظر في هذه العبارات، وغيرها يجد أنها تكشف بجلاء عن توجه الباحث المنهجي، فضلا عن التنظيم الذي جاء ليدعم هذا التوجه بما يجعل من الانعكاس -كآلية جوهرية في القراءة الاجتماعية- أداة تعكس واقع المجتمع الأموي من خلال شعر الشاعرين، وهذا ما يشيء به العنوان أيضاً، (مكارم الأخلاق).

وبمساءلة العنوان الفرعي لدى الباحث (المضمون والفن) فإن هذه الجملة لم تضف شيئاً للعنوان والعمل النقدي بقدر ما هي زوائد طبيعية، وبالنظر إلى متن العمل، وتتبع دلالة هذين المصطلحين في العمل، فإن مصطلح الفن يعني به (فن النقائض)، إذ هي على امتداد القراءة لا تخرج عن هذا المعنى، ثم إن مصطلح (المضمون) بقدر ما يخدم العمل فإنه يسيء إليه، ويضفي عليه نوعاً من الضبابية، إذ المضمون مصطلح عائم، فهو ك فن يمكن دراسته من عدة طرق ونواحي، وكل طريقة تأتي بنتائج ورؤى متباينة.

وبالنظر إلى أهداف الباحث فإنه جاء بهدف معلن ظاهر يتغيأ منه "تسليط الضوء على تلك المكارم الأخلاقية التي حفلت بها نقائض جرير والفرزدق[43]"، وهذا الهدف بقدر ما "يلجأ فيه الباحث إلى التحليل الاجتماعي، بما له من آليات قادرة على التقاط الحساسيات الفنية المؤثرة والمتأثرة بالوسط الاجتماعي[44]"، فإن الناظر في دوافع الباحث لاختيار الموضوع وممارسته النقدية في متن العمل، يخلص إلى مجموعة أهداف أخرى مسكوت عنها، أو مضمرة، ومنها:

1- هدف أخلاقي، يتمثل في الرغبة بـ"إنصاف جرير والفرزدق الذي ذهبت كثير من الدراسات إلى التركيز على الجانب السلبي في نقائضهما، وإبراز عبارات السباب والشتائم، دون ذكر لما ورد فيها من أخلاق كريمة[45]"، شجعه على ذلك عدم وجود "دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع في بحث مختص[46]"، لذا كلّف نفسه بهذا العمل من أجل "إبراز جوانب فن النقائض الذي غلب عليه عنصر الجدل[47]".

2- هدف أيديولوجي، يتمثل في تصحيح وتحسين صورة شعراء النقائض ومجتمعهم، من خلال "إيضاح دور الأدب بصفة عامة، والشعر بصفه خاصة في الرقي بالمجتمع، وحظه على التحلي بمكارم الأخلاق[48]"، التي تمسكت بها المجتمعات الجاهلية والإسلامية والأموية خصوصاً على الرغم من "الاضطرابات السياسية والاجتماعية، ودخول العنصر غير العربي، بما لديه من ثقافات وعادات في المجتمع الأموي، إلا أنه ظل متمسكاً بمكارم الأخلاق[49]"، الرفيعة التي تسهم في بناء المجتمعات وتهذيب أفرادها.

ولأجل تحقيق هذا الهدف، يقول: "ولما كانت الأخلاق بهذه المنزلة الرفيعة في بناء المجتمعات ... خاصة تلك النماذج المجتمعية المضيئة بكريم الشمائل، أردت أن تكون ورقات هذا البحث إضاءة حول مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق[50]"، وبالتالي "الرد على تلك الآراء والدراسات التي ترى في النقائض مثلاً لانتقاص العرب من خلال إظهار السباب والشتائم في شعر النقائض[51]"، ولتحقيق هذا الهدف أيضاً، فقد خلص الباحث إلى أن "إثبات كل من الشاعرين المكارم لنفسه ولقبيلته، ونفيها عن الآخر يدل على عظم هذه المكارم الأخلاقية ... وأهميتها في المجتمع، وأن الشاعر لا يمدح إلا بأحسن ما يراه في الممدوح[52]".

3- هدف ديني، ويتمثل في إظهار وإبراز مكارم الأخلاق في الظرف الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام وتقنية المعلومات، ويأتي تباعاً للهدف المعلن، إذ تغيأ من تسليط الضوء على مكارم الأخلاق التركيز عليها أيضاً "وإبرازها وخاصة في هذا

العصر الذي تبدلت فيه الكثير من القيم في ظل الانفتاح الفضائي، وتقدم التقنية، والثورة المعلوماتية، وما ظهر في بعض المجتمعات العربية والإسلامية من ظواهر غير مرغوبة نتيجة تلقى ثقافة الآخر دون قراءتها قراءة فاحصة[53]"، عزز هذا الهدف بما خلص إليه في نتائجه من أن "ما دار بين الشاعرين من ذكر لمكارم الأخلاق حريٌّ به أن يبعث في المجتمعات المتأخرة في ظل ما تشهده المجتمعات من الثورة المعلوماتية وتقنية الاتصال، وانفتاح الفضاء، وما صاحب ذلك من بُعد أحياناً عن بعض هذه المكارم في بعض المجتمعات التي تلقت الثقافة الحديثة دون قراءة فاحصة لها[54]".

وهذا الهدف كان نتيجة لسيطرة القارئ الضمني (الديني) في وعي الباحث؛ لذا عمد في متن العمل إلى الإجابة على سؤال هذا القارئ، من خلال إبراز صفات الكرم المنبعثة من تعاليم الدين.

وبمساءلة منهج الباحث وأهدافه من حيث مدى انسجامها مع تنظيم منهجية العمل، فإنها جاءت منسجمة مع ذلك -بقصد أو بغير قصد- إذ انبثق التنظيم والممارسة النقدية لديه في مسارين:

الأول: موضوعي وصفي، يعني بتصوير ظاهرة الأخلاق من خلال صور هذه المكارم، وهذا المسار نهض به الفصل الأول الذي يعني بمكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق، الأنماط والسياقات، وفي هذا الفصل الذي قسمه إلى ثمانية مباحث تناول فيه صور الأخلاق كأيديولوجية اجتماعية عكستها أشعار جرير والفرزدق، ومن هذه الصور: رجاحة العقل، والفروسية، والكرم، والشجاعة، والعدل، والوفاء، والمروءة، والصبر، وصلة الرحم، وغيرها، وهو في تأويل هذه البنى يعيدها ضمنياً إلى الصراع الطبقي القائم على الجدلية الماركسية بين البنية التحتية والفوقية[55]، من حيث إن كل شاعر ينسب لنفسه أو لقومه صفة معينة كالشجاعة، في حين ينفي عن المهجو هذه الصورة، وأنه لا يضاهى قومه ومكانتهم، أو الطبقة التي نالوها في المجتمع، وهذا

الصراع الطبقي في إثبات المكارم جاء وفق معطيات المنهج الاجتماعي، فهو يأول قول الفرزدق:

يَرُدُّونَ الحُلُـومَ إلى جبالٍ وإنْ شاغبتـهُمْ وجدُوا شِغابا
أُولاكَ وعيْرِ أُمِّكَ لَوْ تَراهُمُ بِعينَك ما استطعت لَهُمْ خِطابا
رأيتَ مهابـةُ وأسودَ غابٍ وتـاجَ المُلْكِ يلتهـبُ التِهابـا
بَنُو شَمْسِ النَّهارِ وكُلُّ بَدْرٍ إذا انْجابَتْ دُجُنَّتُـهُ انْجِيابـا

وفق هذا الصراع بين الطبقات -وإن ضمنياً- يقول: "وشجاعة قومه وثباتهم عند النوازل والنوائب، وسيادتهم في السلم وفي الحرب، حتى غدوا مهابي الجانب، لا يدخل عليهم أحد حتى يؤذن له؛ لشرفهم وسيادتهم، ويذكر ثبات أبطالهم يوم الكلاب، ومنهم، عدس بن زيد، وسفيان بن مجاشع اللذان كانت لهما مهابة وعزة، يشبههما بمهابة الأسد[56]"، هذا الصراع يتعدى الأفراد إلى صراع القبيلة مع الأخرى، من حيث ذكر فروسيتهم التي فاقوا بها الآخرين، واستطاعوا أن يصلوا إلى الملوك ويقتلونهم، فصارت لها السيادة بين القبائل، ونفاذ أمر أميرها الذي يلزم غيرها من القبائل.

وتتجلى آليات المنهج الاجتماعي أيضاً في تصويره للبنى التي انطلق منها ماركس في تقسيم المجتمع، وجعل الأدب انعكاساً لأحدها، فهو يتحدث عن البنية الاقتصادية، أو ما بات يعرف في الأدب بالبنية التحتية، من خلال عدد من الدوال وتوظيفها نقدياً، منها:

1. المتاجرة: من حيث أن شعراء النقائض يصفوا كرمهم وإنفاقهم للمال وعدم المتاجرة به، فهم يقدمون هذا المال بما يكرم الضيف من حيث تقديم الشوى لهم، ونصب القدور، وإشعال النيران تحتها ليراه السائرون فيشاركوه طعامه، وهذا المال يصرفه في يوم قائظ شديد الحرارة، الناس فيه بحاجة للمال[57]، ويؤول الباحث قول جرير:

سيكفيكِ والأضيافَ إن نزلُوا بنا إذا لمْ يكنُ رسلٌ شواءٌ ملـوَّحُ
وجامعةٌ لا يجعلُ السّترُ دونهـا لأضيافنـا والفائـزُ المتمنّـحُ
ركـودٌ تسامى بالمحـالِ كأنَّهـا شموسٌ تذبُّ القائدين وتضرحُ

إذا ما ترامى الغليُ في حجراتِها ترى الزَّوْرَ في أرجائِها يترجَّحُ

في أن الشاعر يذكر كرمه الذي صرفه عن التجارة، فكلما يزداد التاجر ربحا يزداد الشاعر كرما وسيادة، وهو طبع جُبل عليه، لا يستطيع أن ينتقل عنه إلى غيره، فكما يستقل صاحب الإبل قطيعة -وإن زاد- لبخله يسعد الكريم بذكره الحسن مستكفيا أنه ينحر لأضيافه ليطعمهم شواء لوّحته النار حتى انضجته ... تجسيد لصورة الكرم الذي استعاضه عن التجارة وزيادة قطيعة من الإبل[58]"، وبالتالي فإن "الكرم يعكس قيم التشارك التي تمسك بعا الشاعر، وحرص على أن يقرنها بالمظاهر الدالة على الاحتفاء بالضيف، كون ذلك يمثل أعلى مراتب قيم الكرم[59]".

فالباحث بهذه الممارسة يوظف آليات القراءة الاجتماعية في كشف البنى التحتية والفوقية -وإن ضمنياً- ذلك أنه لم يصرح بالاشتغال وفق هذه الإجراءات، لكن طبيعة العنوان وأهداف البحث جعلته أسير هذه الإجراءات، ولذا جاءت لديه بدون قصد ربما.

2 السياسة: يتناول الباحث هذا الدال في شعر جرير والفرزدق من عدة نواحي، الأولى: إنه يعيد نشوب النقائض إلى أسباب سياسية، تتمثل في موالات بني يربوع -رهط جرير- لابن الزبير فاتفق هوى عشيرته مع هواهم التي دافع عنها جرير ووقف في صفها محامياً عنها، وتشجيع النظام الحاكم لهذا النوع[60].

والثانية: إنه يعيد ويؤول بعض البنى اللغوية إلى أسباب اجتماعية وسياسية، فهو يعيد تناول الشاعر للقافية المطلقة إلى حالته النفسية التي تتناسب مع العوامل السياسية والاجتماعية لذلك العصر[61]، الأمر نفسه بالنسبة للموسيقى الخارجية التي يعيد مجيئها إلى ذات العوامل السابقة[62].

٣- العصبيات القبلية: وهذا الدال وإن اختلط بالسياسة على حد قول الباحث، فإنه ينفرد لديه ممارسة في أكثر من موضع، إذ أعاد معظم نماذج وصور مكارم الأخلاق إلى طبيعة العصبية القبلية[63]، وهو ما خلص إليه في أن "ذكر الشاعرين لمفاخرهما ومكارمهما الشخصية، ومكارمهم ومفاخر قبيلتهما يدل على أن العصبية القبلية

لعبت دوراً في هذه النقائض[64]"، وبالنظر إلى هذه الدوال لفظياً وواقعياً نقدياً نجد إنها تقع في صلب المنهج الاجتماعي من حيث جعل الأدب انعكاساً لها.

المسار الثاني: فني، وهو ما ينهض به الفصل الثاني من القراءة المعنون بـ (جماليات التشكيل)، فهو وإن عنون مبحثه الأول بـ لغة الشعر وألفاظه وأساليبه وتراكيبه والموسيقى الشعرية فيه الذي يخال لمتلقيه بداية بأن هذا العمل يجانب الشغل وفق إجراءات المنهج الاجتماعي، إلا أن هذا الأفق سرعان ما ينكسر بمجرد أن يدخل متلقي هذا العمل إلى الممارسة النقدية، إذ يجد أن الباحث في لغة الشعر وألفاظه يذكر مجموعة صور يسميها مكرمات، وهذه الصور هي، رجاحة العقل، والفروسية، والكرم، والشجاعة، والعدل، والوفاء، والمروءة، قد جاءت متجذرة في المجتمع قبل أن تكون صفات فردية، لاسيما والباحث يربط هذه الصور بواقعها الاجتماعي المأخوذة منه ويأولها وفقاً لهذا المنظور، فهو في حديثه عن الألفاظ أو المعجم الشعري في مكرمة الكرم مثلاً نجده يحصي منها ما له دلالة بالواقع أولاً، والمنهج ثانياً، من حيث الصراع وبنيات المجتمع، ومن هذه الألفاظ مثلاً: (مقتر- المطعِم، المستجار، المجير، البذل، الولاء القبيلة) فهو في تأويله قول الفرزدق:

أنا ابنُ الذي ردَّ المنيـةَ فضلهُ وما حسبٌ دافعتُ عنهُ بمعورِ
أبي أحدُ الغيثينِ صعصعةُ الذي متى تخلفِ الجوزاءُ والنجمُ يمطرِ
أجارَ بنات الوائدينَ ومنْ يجـرِ على الفقرِ يعلمْ أنهُ غيرُ مخفـرِ
وفارقِ ليلٍ منْ نساءٍ أتتْ أبي تعالجُ ريحاً ليلها غيرُ مقمـرِ
فقالتْ أجرْ لي ما ولدتُ فإنني أتيتكَ من هزلى الحمولـةِ مقترِ
هجفٍّ منَ العثوِ الرؤوسِ إذا ضغتْ لهُ ابنةُ عامٍ يحطمُ العظمَ منكرِ
رأى الأرضَ منها راحةً فرمى بها إلى خددٍ منها وفي شرِّ محفرِ
فقالَ لها نامي فإني بذمتي لبنتكِ جارٌ منْ أبيها القنـورِ

وقوله:

والمستجار به فما كحباله للمستغيث به حبال مجير

يقول: "إن الشاعر يذكر كرم أبيه، فهو غيث عطاء اعتاد البذل حتى مع الفقر، ولا بذل أفضل من إحياء الموؤدات اللاتي كان يعتقهن على فقره ... فلفظ (هجف- القنّور) وظفهما الشاعر توظيفاً دقيقاً ليدلل على أن وأد البنات لا يصدر عن الكرام[65]".

وبالنظر إلى الألفاظ التي انتقاها الباحث نجد أنها تشيء بما يدل على الممارسة الاجتماعية، إذ لفظتي المستجار والمستجير توحي أولاً، بما بات يعرف بنظام الطبقة الدنيا، متمثلة بالمستجير، والأرستقراطية المتوسطة المتمثلة بالمجير، ثم إن توظيف هذه المفردة (المستجار) ثانياً تشيء بهذه الممارسة، إذ يذكر بأن الشاعر "قد وضف اسم المفعول مستجار توظيفا شعرياً يدل على معرفة صاحب الحاجة لأبيه الذي ذاع صيته بالكرم حتى أصبح مستجاراً لأصحاب الحاجات، فهو مجير، وجاء باسم الفاعل(مجير) دليلاً على استمرار هذا الفعل منه[66]"، وعلى كلٍ فإن "المغالاة في التعصب للجماعة المعبر عن حضور القبيلة لدى الفرد والجماعة كان معلما سلبيا شكل نقيضا للتواصل بين الجماعات القبلية فيما بينها وحال في بعض الأحيان دون تبادل أبسط المصالحالمشتركة، بل قادت المغالاة إلى تضخيم الذات والجماعة[67]".

ومثلما يخلص إلى أن اللغة الشعرية والألفاظ التي جاءت لدى جرير والفرزدق تختلف دلالاتها باختلاف نفسياتهما والعوامل المؤثرة في كل منهما، فإن الأوزان الشعرية والموسيقى -أيضاً- أظهرت من خلالها نفسياتهم وطبائعهم وانفعالاتهم النفسية بما يتناسب مع العوامل السياسية والاجتماعية في ذلك العصر[68].

وبرغم هذه المواءمة في التنظيم والممارسة النقدية مع العنوان والمنهج فإن ثمة عدد من الملاحظات يمكن سردها كالتالي:

- وجود نوع من التناقض لدى الباحث بما يتناسب مع العنوان، فهو يعرض لمكارم الأخلاق كإنصاف منه للشاعرين الذَين دأب النقاد والباحثون على تعداد ورصد لجوانب الفحش والسباب، فإنه يذكر مجموعة أبيات هي في الأصل هجاء مقذع، وفيه من الشتم والسباب ما فيه، فهو وإن لم يتطرق إلى هذه الأبيات شرحاً

ومعالجة فإن ذكره لها كافٍ للاستدلال على التعارض مع العنوان، والذي أوقعه في ذلك هو ذكره لعدد من الأبيات في مقطع واحد بحيث تتجاوز هذه المقطوعات عشرة أبيات، وهذا الحجم من الأبيات بالفعل سيعرض الباحث لمثل هكذا تناقض[69].

- تناقض في الممارسة النقدية من حيث تكراره لعدد من الأبيات (هي نفسها) في أكثر من غرض شعري، فقول الفرزدق:

يَرُدُّونَ الحُلُومَ إلى جبالٍ وإنْ شاغبتهُمْ وجدُوا شِغابا

يوظفه في أكثر من موضع، فهو يستشهد به عن شجاعة قومه في الصفحة 61، وفي صفحة 67 يستشهد به في الفخر بعشيرته وثباتها في مواقفها التي خبرها الناس عنها، كذلك في صفحة 102، ويكرر البيت نفسه لذات الموضوع، كما أنه يوظف قول جرير:

ولوْ سارَ الزبيرُ فحلَّ فينا لما يئسَ الزبيرُ منَ الإيابِ

لكرمه وكرم قومه وإكرام المستجير في الصفحة 122،43، ويكرره عن الهجاء مرتين في نفس صفحة 48، فهو إذ يذكر البيت نفسه عبر هذا الأسلوب، فإنه بهذا المسلك يشيء إما بعدم وعي فيما يكتبه، وبالتالي ينتج عنه لي أعناق للنصوص وتحميلها ما لم تحتمل، أو إنه يتحايل ولم يحمل نفسه عناء البحث والتنقيب عن الأبيات التي تشير إلى مثل هكذا مواضيع، ثم إن هذا المسلك يقودنا إلى اضطراب منهجي آخر، وهو إنه في الفصل الأول يتحدث عن الكرم كصورة نمطية مبيناً سياقاتها في شعر الشاعرين، ويتناول في الفصل الثاني الكرم أيضاً، في سياق اللغة والأسلوب والتراكيب، وهذا لا بأس به فيما لو اختلفت طريقة المعالجة، لكن أن تبقى طريقة المعالجة كما هي عليه في الفصلين فهذا مما يمكن رده على الباحث، وهنا نعرض نموذجا لطريقتين لنتبين بجلاء تشابه المعالجة برغم اختلاف عناوين الفصول، يقول في الفصل الأول: "والشاعر يركز على كرمه وكرم قومه، ومن كرمه إكرام المستجير وإنزاله مكانته[70]"، وفي الفصل الثاني قوله: "عبّر عن إكرام

المستجير فجاء بهذا الأسلوب الذي يظهر فيه الشاعر موجهاً للقوم حول مكانة المستجير ووجوب حمايته[71]".

- سيطرة القارئ الضمني المتمثل بالهدف الثالث المضمر، وهو التفكير بالمعتقدات الدينية الإسلامية التي انزاح عنها الباحثون واهتموا بالجانب اللا أخلاقي في هجاء جرير والفرزدق فتبدلت بذلك القيم لا سيما في ظل انتشار القنوات الفضائية ووسائل الاتصال وتقنياتها -بحسب قوله- ونتيجة لذلك كرر هذه القيم الدينية المتمثلة في صور اجتماعية -في الفصلين- وتشابهت طريقة المعالجة نتيجة لسيطرة هذا القارئ على كتابته، وإن بشكل غير واعٍ.

وعلى كلٍ فالقراءات الاجتماعية رغم عدم تصريحها بالمنهج استطاعت أن ترسم صورة تقريبية عن الواقع الأموي الذي عايشه شعراء النقائض، وعن حياة الشعراء، وهي في مجملها قراءات متوفرة وواعية لإجراءات النقد الاجتماعي وتصوير جوانب من الحياة الاجتماعية الأموية على الرغم من تأثر بعض القراءات بمتطلبات القارئ الضمني التي تفرض على الباحث السير باتجاه معين، والعمل النقدي في هذا المبحث أكثر انضباطا من سابقة، ولعل مرد ذلك إلى قدرة الباحث نفسه وتمكنه من العمل وفق إجراءات المنهج أولاً، وتوفر الدراسات النقدية التي قاربت شعر النقائض وفق إجراءات هذا المنهج ثانياً.

النتائج:

لقد خلص البحث إلى مجموعة نتائج أهمها:

1. استطاعت القراءتان -ولو يسيرا- رسم صورة تقريبية عن المجتمع الأموي، من خلال ما عايشه شاعر النقائض الأموية أولاً، ومن خلال سلوك الشاعر المهجو وبيئته.
2. على الرغم من وجود حلقة وصل بين القراءتين وتبنيهم المنهج الاجتماعي اشتغالا وممارسة، إلا أن القارئ الضمني المضمر في وعي الباحث كان له دوره في توجيه القراءة باتجاهات مختلفة.

استطاعت القراءتان أن تحاكي وتطبق المنهج الاجتماعي على الرغم من عدم تصريحها بالمنهج المتبع.

5- التهميش:

(1) ينظر: النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره: أزاده منتظري مجلة إضاءات نقدية، العدد السادس، 2012م، ص 161.

(2) المدخل إلى مناهج النقد المعاصر: بسام قطوس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م، ص 65.

(3) النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك: إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003 م، ص67.

(4) صورة الفرزدق في شعر جرير: حمد عبد الله الجبوري، رسالة ماجستير، جامعة مؤته، الأردن، 2015م.

(5) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص14.

(6) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص15.

(7) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص20، 21.

(8) بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص68.

(9) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص٢.

(10) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص2.

(11) ينظر: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر: بسام قطوس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الأسكندرية، 2006، ص92.

(12) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص15.

(13) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص16.

(14) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص8، 11، 13.

(15) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص7.

(16) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص14.

(17) صورة الفرزدق في شعر جرير: ينظر: ص17، 20 ، 19.

(18) ينظر مثلا: صورة المهجو في شعر النقائض: ص33، 34.

(19) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص24.

(20) مناهج البحث الأدبي: يوسف خليف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص38.

(21) ينظر: الخطاب النقدي في الرسائل الجامعية في اليمن مناهجه وإجراءاته: ص105.

(22) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص20.

(23) مناهج النقد المعاصر: عثمان موافى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الازاريطة، ٢٠٠٨م، ص78.

(24) ينظر: تلقي شعر الهذليين: ص103.

(25) يوم الشياطين: هو يوم أغارت بكر بن وائل على بني تميم فقاتلوهم فهزمت تميم، كتاب نقائض جرير والفرزدق: 1097/3.

(26) هو يوم تجمعت فيه اللهازم واللهازم قيس، وتيم الله بن ثعلبة وعجل بن لجيم، وعنزة بن أسد.

(27) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص32.

(28) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص41.

(29) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص42.

(30) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص87.

(31) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص63.

(32) صورة الفرزدق في شعر جرير: ص 25.

(33) ينظر: صورة الفرزدق في شعر جرير: ص60 ، 70، 78.

(34) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: عبد الله بن خميس العمري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1997م.

(35) الخطاب النقدي في الرسائل الجامعية في اليمن مناهجه وإجراءاته: ص١٠٢.

(36) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص6.

(37) ينظر: البنيوية التكوينية في التلقي العربي بين النظرية والتطبيق: حيدر فاضل عباس، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 115، 2016م، ص113.

(38) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص10.

(39) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص 13.

(40) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص019

(41) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص11.

(42) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص3.

(43) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص5.

(44) الخطاب النقدي في الرسائل الجامعية في اليمن مناهجه واجراءاته: ص104.

(45) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص5.

(46) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص5

(47) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص5.

(48) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص5.

(49) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص4.

(50) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص3.

(51) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص5.
(52) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص162.
(53) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص5.
(54) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص 162.
(55) تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية: عبد الناصر جندلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط٥، ٢٠٠٥م، ص١٨٥.
(56) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص61.
(57) ينظر: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص49.
(58) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص38.
(59) الحضور الذاتي في شعر عروة بن الورد، عبد الله علي قاسم الصنوي، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، العدد العاشر، 2019م، ص107.
(60) ينظر: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص17-18.
(61) ينظر: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص138.
(62) ينظر: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص141.
(63) ينظر: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص122.
(64) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص162.
(65) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص97/96.
(66) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص97.
(67) صورة القبيلة في شعر الفرسان الجاهليين: أحمد عبيد الله العتبي، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، جامعة ذمار، كلية الآداب، اليمن، العدد، 16، 2022م، ص636.
(68) ينظر: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص109، 135، 138، 140.
(69) ينظر: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص61، 65، 83، 151، 158.
(70) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص31.
(71) مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن: ص122.

6. قائمة المراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م.

2- أحمد عبيد الله العتبي: صورة القبيلة في شعر الفرسان الجاهليين، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، العدد، 16، 2022م.
3- أزاده منتظري: النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، مجلة إضاءات نقدية، العدد السادس، 2012م.
4- بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2006م.
5- حمد عبد الله الجبوري: صورة الفرزدق في شعر جرير: رسالة ماجستير، جامعة مؤته، الأردن، 2015م.
6- حيدر فاضل عباس: البنيوية التكوينية في التلقي العربي بين النظرية والتطبيق، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 115، 2016م.
7- خليل عمران المنصور: كتاب نقائض جرير والفرزدق: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، وضع حواشيه، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
8- عبد الغني الجهيزي: تلقي شعر الهذليين قديماً وحديثاً، رسالة ماجستير، جامعة ذمار، اليمن، 2019م.
9- عبد الله بن خميس العمري: مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1997م.
10- عبد الله علي قاسم الصنوي: الحضور الذاتي في شعر عروة بن الورد، مجلة الآداب، جامعة ذمار، اليمن، العدد العاشر، 2019م.
11- عبد الناصر جندلي: تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط٥، ٢٠٠٥م.
12- عثمان موافي: مناهج النقد المعاصر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الازاريطة، ٢٠٠٨م، ص78.
13- لؤي موفق الحاج علي: صورة المهجو في شعر النقائض، رسالة ماجستير، جامعة جرش، الأردن، 2015م.
14- محمد يحيى الحصاني: الخطاب النقدي في الرسائل الجامعية مناهجه وإجراءاته، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، 2018م.

15- يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.